ثقافة التعايش بين الدّيانات من التأصيل إلى الممارسة

صالـــح الاحمـــدي*
باحث من تونس
*salah.elahmadi@gmail.com

ملخص :

تتحدّد معالم صورة الإنسان وفق جملة من الأبعاد والأشكال المختلفة، فهي تتّحد أحيانا وتتباين أحيانا أخرى، وعند هذا المقام يبدو الإنسان كائنا واحدا ومتعدّدا، وإذا كان بُعْد الواحديّة فيه متجذّرا من أجل أصل خلقته، فإنّ التعدّد سرَى ويسْري بُعدا جوهريا يضفي على ذلك التجذّر طابع الاختلاف والتباين. ولذلك سعى الإنسان منذ بدايات وجوده إلى التماس السّبل والوسائل المناسبة لإقامة التعايش بين أفراد وجماعات نوعه، وبينه وبين بقيّة الأنواع الأخرى المحيطة به في الكون. وفي هذا السّياق تنوّعت الدّيانات واختلفت في مسارات تشكّلها ومناخات تقبّلها لترسم صورة بانورامية لدين واحد إنساني في شموليته وفي مقصده، يستوعب مظاهر الاختلاف في الزمان والمكان والإنسان، وعبر هذه الصّورة تتجلّى مظاهر ثقافة التّعايش بين الدّيانات متأصّلة في النّشأة الأولى وممتدّة عبر التمثّل والممارسة في شكل معابر يستعملها الإنسان للتعبير على طبيعته الاجتماعيّة التي تعتمد آليات التّعارف، والتقارب، والتحابب، والتّوادد.

كلمات مفتاحية : الدّين والدّيانة- ثقافة التعايش- التأصيل- الممارسة

Culture of Religious Coexistence from Rooting to Practice

Salih Al-Ahmadi / Tunisia

ABSTRACT

The features of Human's image are determined according to variety of dimensions and multitude of forms. They sometimes unite and sometimes vary. At this point, the human seems to be a single and multiple being. If the aspect of uniqueness is rooted in the origin of his creation, diversity has been set and is becoming a fundamental dimension that lends a character of difference and variation on that rootedness. For this reason, man sought, from the very beginning of his existence, appropriate ways and means to establish coexistence between individuals and groups of his/her species, and between himself/herself and the other species around him/her in the universe.

In this context, religions have diversified and differed in their paths of formation and in their climates of acceptance to paint a panoramic picture of a single human religion in its universality and purpose that can assimilate aspects of difference in time, place, and human being. Through this picture, the culture of interreligious coexistence is embedded in the first creation and extends through representation and practice in the form of crossings used by man to express his/her social nature that adopts mechanisms of acquaintance, affinity, affection, and congeniality .

KEYWORDS

Religion and being Religious- Culture of Coexistence - Rooting – Practice

مقدّمة

لم تمنع وحدة الإنسان نشأة ومصيرا، تنوّع واختلاف أفكاره ومعتقداته في محاولة فهمه للحياة وللكون من حوله، والسعي إلى تشكيل العلاقة مع خالقه المبدئ الأوّل الذي يهيمن على هذا الكون، ممّا أصبغ عليه صفة الكائن المتديّن المحكوم بدوافع عميقة لإثبات الذّات، من جهة، وللتعايش ضمن مجموعات، من جهة أخرى، وذلك وفق نظام تفاعلي اقتضته متغيّرات الوجود الإنساني، ويقوم على جملة من الثنائيّات الطبيعيّة، والاجتماعية، ولعلّ حضور ثنائيّة الأنا والآخر في هذا السياق من أكثرها توقيعا في تشكيل الأنماط الاجتماعية المختلفة، ولمّا كان الدّين مشتركا إنسانيّا واحدا في جوهره متعدّدا في معاني الفهم والتمثّل ومعاني الممارسة والتّطبيق، فقد أتبع ذلك تشكّلات مختلفة للثقافة الدّينية تتّصل أحيانا وتنفصل أحيانا أخرى، وبين مقاميْ الاتّصال والانفصال تنشأ حركة التثاقف بين الدّيانات متأرجحة بين قاعدتيْ المشاركة والمغالبة، ولم تقتصر هذه الحركة على ديانة محدّدة، بل امتدّت إلى كلّ الدّيانات محكومة بضوابط وعوامل تضفي عليها المشروعية والوجاهة، ففي الفكر الإسلامي شواهد وأدلة كثيرة على عمليّة التثاقف، لا سيّما في ظلّ ما شهده من تطوّر امتدّت مظاهره وآثاره إلى أصقاع العالم، وتشكّل أسلوب الجدل والمناظرة ضمن دائرة موضوعات واهتمامات كثيرة، وفي تاريخ الدّيانات والمعتقدات والأفكار علامات كثيرة على وجود مظاهر مختلفة من التقارب والتعايش بين أهل الدّيانات المختلفة تتأطّر ضمن مرجعيات تاريخية تساعد على بناء ثقافة التعايش في العصر الرّاهن، لا سيّما وأنّ ثقافة التّعايش بين الدّيانات تقترن بخصوصية النّوع الإنساني، وهو الكائن المتديّن بطبيعته، وهو الكائن الاجتماعي، ولعلّ هذه الخصوصية التي طبعت كيانه هي ارتقت به إلى مرتبة التكريم والتّفضيل الإلهي، لأنّ هذه المرتبة منوطة بتحقّق المقصد الأعظم من خلقه سبحانه للكون وللعباد فيه وهي الصلاح في الأرض ونشر السّلام، وتماشيا مع فطرة الخير وحقيقة التعايش الجماعي بين النّاس تُبذل الجهود وتسخّر الأقلام لحماية هذه الحقيقة وتأسيس دعائمها، وفي هذا السّياق يسعى هذا المقال إلى طرح إشكالية فهم واستيعاب ثقافة التعايش بين الدّيانات من خلال تجسير العلاقة بين التأصيل النّظري والممارسة العملية، ويمكن معالجة هذه الإشكالية وفق هيكلة ثلاثيّة المحاور في زاويتها الأولى توصيف وتوظيف لأهمّ المفاهيم ذات العلاقة، وفي الزّاوية الثانية تعريج على المرجعيات التي تؤصّل لثقافة التعايش بين الدّيانات وأختم في

الزاوية الثالثة بمسألة ثقافة تقبّل الآخر كمؤشّر على ممارسة وحضور ثقافة التعايش بين الدّيانات، وسنتوسّل في ذلك بمنهج التّحليل والاستقراء.

هيكلة المفاهيم توصيفا وتوظيفا

أ. وحدة الدّين وتعدّد الديانات

الدّين مفهوم متجذّر في محاولات الإنسان فهم وتفسير وجوده ومصيره في هذا الكون، ولذلك حظي هذا المفهوم بزخم هائل من البحث والتّدقيق في كثير من الأدبيات، وللتعرّف إلى هذا المفهوم في بعده الفردي أو الجمعي نشير بداية إلى تعريفه في المعجم اللّغوي حيث «يقال: دانَ بكذا دِيانَةً وتَدَيَّنَ به، فهو دَيِّنٌ ومُتَدَيِّنٌ، ودَيَّنْتُ الرجل تَدْييناً، إذا وكَلْتَهُ إلى دينه، وجمعه الأدْيانُ»[1]، ومن المعاني اللّغوية أيضا «الدِّين هو: الجزاء والمُكافأة. ودِنْتُه بفعله دَيْناً : جَزَيته وقيل الدَّيْنُ المصدر، والدِّين الاسم. ويومُ الدِّين : يومُ الجزاء. والدِّين: الطاعة. وقد دِنْته ودِنْتُ له أَطعته.. يقال: دانَ بكذا ديانة وتَدَيَّنَ به فهو دَيِّنٌ ومُتَدَيِّنٌ. والدِّينُ: العادة والشأْن تقول العرب: ما زالَ ذلك دِيني ودَيْدَني أَي عادتي...»[2]

وجملة القول في المعاني اللّغوية أنّ كلمة الدّين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظّم أحدهما الآخر ويخضع له، فإذا وصف بها الطرف الأوّل كانت خضوعا وانقيادا، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمرا وسلطانا، وحكما إلزاميا، وإذا نظر بها إلى الرّباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدّستور المنظم لتلك العلاقة، أو المظهر الذي يعبّر عنها[3].

فضلا عن هذا التعريف اللّغوي يعطي الجرجاني لمفهوم الدّين متعلّقات أخرى بحسب تمثّل النّاس له ، فإذا توجّه الإنسان إلى الشريعة باعتبارها طاعة فذلك يسمّى دينا، وإذا نظر إليها كإطار يجتمع حوله النّاس وينتصرون له فذلك ملّة، وإذا استند إليها في مواقفه وسلوكه واعتبرها مرجعا فذلك مذهب. ومن حيث مصدر هذه المفاهيم يعتبر الجرجاني أنّ الدّين يُنسب إلى اللّه تعالى، وتنسب

(1) الجوهري، أبو نصر إسماعيل، الصحاح تـاج اللغة وصحاح العربيّة، دار العلم للملايين، ط4، بيروت1987، 1 / 220

(2) ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب، دار الجيل بالاشتراك مع دار لسان العرب، ط 9 ، بيروت 1988، 13/ 164

(3) انظر : دراز ، محمد عبد اللّه، الدّين بحوث ممهّدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، الكويت (د. ت)، ص 31

الملّة إلى الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم، أمّا المذهب فينسب إلى المجتهد[4].

(4) انظر : الجرجاني الجرجاني، الشريف، التعريفات، دار الكتب العلميّة، ط1، لبنان1983، ص 35

وعموما فإنّ «كلمة الدّين التي تستعمل في تاريخ الدّيانات لها معنيان: أحدهما هذه الحالة النّفسية التي نسمّيها التديّن والآخر تلك الحقيقة الخارجية التي يمكن الرّجوع إليها في العادات الخارجية أو الآثار الخالدة، أو الرّوايات المأثورة، ومعناها جملة المبادئ التي تدين بها أمّة من الأمم، اعتقادا أو عملا، وهذا المعنى أكثر وأغلب»[5] ، وقد تنوّعت تعاريف مفهوم الدّين بتنوّع وتعدّد الباحثين والدّارسين في الدّيانات و»ليس من العسير على من يستعرض هذه التعاريف أن يلاحظ أنّ الجمهرة الغالبة منها تجاوزت الحدّ في التحديد، حتّى حصرت مسمّى الدّين في نطاق الدّيانات الصحيحة، المستندة إلى الوحي السماوي، وهي التي تتخذ معبودا واحدا، هو الخالق المهيمن على كلّ شيء، فالدّيانة الطبيعية المستندة إلى محض العقل، والدّيانات الخرافية التي هي وليدة الخيالات والأوهام، وكلّ ديانة تقوم هي أو جانب منها على عبادة التماثيل، أو عبادة الحيوانات، أو النبات، أو الكواكب، أو الجنّ أو الملائكة، تخرج بمقتضى هذه التعاريف عن أن تكون دينا»[6]، وبذلك فإنّ الدّين يبقى في مستوى اعتقاد الإنسان في المفارق العلوي، والذي ليس كمثله شيء ويهيمن على الوجود من جهة، وفي مستوى السلوك الخاضع لتوجيهات هذا المفارق من جهة أخرى، فالدّين «هو التزلّف والتقرّب إلى القوى العليا التي تفوق الإنسان والتي يعتقد أنّها توجّه سير الطبيعة والحياة البشرية وتتحكّم فيهما، وعلى أساس هذا التعريف يتألف الدّين من عنصرين أحدهما نظري وهو الإيمان بوجود قوى أعلى وأسمى من الإنسان، والآخر عملي وهو محاولة استمالة هذه القوى وإرضائها، وإذا لم يترتّب عن الإيمان قيام بشعائر وممارسات فإنّه لا يكون دينا، بل مجرّد لاهوت... والشعائر والطقوس المجرّدة من كلّ اعتقاد ديني لا تعتبر دينا، فقد يتصرّف شخصان بطريقة واحدة ومع ذلك يعتبر أحدهما متديّنا والآخر غير متديّن، فأمّا الذي ينبع سلوكه من حبّ

(5) درّاز، محمّد عبد اللّه، الدّين ص 32

(6) درّاز ، محم عبد اللّه، الدّين، ص 37

اللّه أو الخوف منه فإنّه يكون متديّنا، والذي ينبع سلوكه من حبّ النّاس أو خشيتهم فإنّه يعتبر شخصا أخلاقيا، أو لا أخلاقي تبعا لكون سلوكه متّفقا مع الخير العام أو متعارضا معه»[7]، وفي القرآن الكريم وردت كلمة الدّين معرّفة[8] ونكرة ضمن سياقات مختلفة، فهو يفرّق في مواطن ثلاثة بين دين الحقّ الذي أرسل به محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم والدّين كلّه[9] الذي يستغرق «الدّيانات المختلفة والمتنوّعة.

وفي آيات القرآن الكريم إشارة إلى أنّ الدّين في نوعه لا يقتصر على الوحي السماوي وإنّما هو يستغرق كلّ معتقدات الإنسان، التي هي غير دين اللّه الذي عبّر عنه في قوله تعالى: «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ [10]. ثمّ إنّ «الحقيقة التي أجمع عليها مؤرخو الدّيانات هي أنّه ليست هناك جماعة إنسانية، ظهرت وعاشت ثمّ مضت دون أن تفكّر في مبدأ الإنسان ومصيره، وفي تعليل ظواهر الكون وأحداثه، ودون أن تتّخذ لها في هذه المسائل رأيا معيّنا، حقّا، أو باطلا، يقينا أو ظنّا، تصوّر به القوّة التي تخضع لها هذه الظّواهر في نشأتها، المآل الذي تصير إليه الكائنات بعد تحوّلها»[11].

فالدّين مفهوم عالمي إنساني واسع الاستعمال ومقترن بظهور الإنسان ونشأة رغبته في المعرفة وفكّ رموز الكون من حوله، وهو مفهوم مفرد واحد في جنسه، يستغرق المعتقدات والأفكار التي يتمثّلها الإنسان ويعتنقها، ويعمل على تطبيقها وممارستها ضمن واقع معيّن ويدافع عنها، بل يعتبرها معطى وجوديا لا يمكن التفريط فيه، فيمتلك بذلك صفة الكائن المتديّن.

الدّين مفهوم عالمي إنساني واسع الاستعمال ومقترن بظهور الإنسان ونشأة رغبته في المعرفة وفكّ رموز الكون من حوله

وإذا كان الأصل في الدّيانات المتعدّدة هو الانتماء إلى مفهوم الدّين الواحد من جهة تقاطعها في البعد الوجداني والاعتقاد في قوّة متعالية وأسمى من قوّة الإنسان، ومن جهة تقاطعها في البعد الشعائري التعبّدي المتمثّل في الخضوع للمعبود، فإنّ ذلك لا ينفي التعدّدية الدّينية بمعنى كثرة

(7) انظر: فريزر ، جيمس، الغصن الذهبي ، ترجمة أحمد أبو زيد وآخرون ، الهيئة المصرية العامّة للتأليف والنّشر، مصر 1971 ، 1 / 217 – 218.

(8) استعمل القرآن الكريم كلمة الدّين معرّفة في مواضع كثيرة موزعة بين السور التالية: الفاتحة: -4 البقرة: 132، 193، -256 آل عمران: 19 – النّساء: 46 – الأعراف: 29 – الأنفال: 39 ، -72 التوبة: 11، 33، 36، 122 – يونس: -22 يوسف: 40 – الحجر: 35 – النحل : -52 الحج: 78 – الشعراء: -82 العنكبوت: 65 – الرّوم: -30 لقمان: -32 الأحزاب: 5 – الصافات: -20 ص : -78 الزمر : 2 ، -3 غافر: 14 ، 65 – الشورى: - 13، 21 – الفتح: -28 الذاريات: 6 ، 12 – الواقعة: -56 الممتحنة: 8 ، -9 الصف: 9 – المعارج: -26 المدثّر: -46 الانفطار: 9 ، 15، 17 ، 18 – المطفّفين: 11 – التين: 7 – البيّنة: 5 – الماعون: 1

(9) انظر قوله تعالى:
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (التّوبة: 33)
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (الفتح: 28)
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (الصّف : 9)

(10) سورة آل عمران:3/ 83

(11) دراز، محمّد عبد اللّه ، الدّين، ص 38

وتنوّع المعتقدات واختلافها من جهة تمثّلها للمقدّس وطرائق التعامل معه، أي من جهة أساليب العبادة والتقرّب إلى المعبود. وعليه فالدّين واحد في مفهومه متعدّد في تطبيقاته. وأضفى بعض الدّارسين على هذه التّطبيقات معنى ومفهوم التّجربة الدّينية (وليام جيمس، تنويعات التجربة الدّينية، 1902) على أنّها «نشاط لآليات تصعيد الحاجات التي لم تشبع... وبالتالي تحضر هنا أربعة مفاهيم كمنطلقات جوهرية، في مستوى أوّل، إنّ الدّين له جذور نفسية عميقة بصفته تعبير عن تدابير يضعها الفرد قيد التّنفيذ، أمام حاجاته المنقوصة، بما يخلقه غياب إشباعها من حرج لديه.

إنّ الدّين له جذور نفسية عميقة بصفته تعبير عن تدابير يضعها الفرد قيد التّنفيذ، أمام حاجاته المنقوصة، بما يخلقه غياب إشباعها من حرج لديه

وفي مستوى ثان، تأثّر الدّين على الأقل في جانب منه بالمحيط الاجتماعي والثقافي وبالاطار المؤسّساتي، وبالكون القدسي الذي يتجذّر فيه. وفي مستوى ثالث، كون المسألة تتعلّق بعملية إشباع متعالية لبعض الحاجات، وسموّ نفسي بالأهداف الحيوية لوجودنا، تنحو التّجربة الدّينية إلى التّخفيف من حدّة الضيق. وفي مستوى رابع، يولّد إشباع الحاجات أو غيابه جملة من الاستراتيجيات النّفسيّة من بينها، في مجال الإشباعات المتعالية، نجد الإشباع الدّيني»[12]

(12) أكوافيفا سابينو و باتشي إنــزو، علم الاجتماع الدّيني، ترجمة عزالدّين عناية، أبوظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتّراث، كلمة، ط 1 ، 2011، ص 10

وباعتبار أنّ في إشباع الحاجات تفاعلات واختلافات بين أصحاب الدّيانات المتنوّعة، وبين أصحاب الدّيانة الواحدة، ممّا قد يُنتج تباعدا أو نفورا أو صراعا قد تصل حدّته إلى الكراهية والعنف، الأمر الذي يقتضي حلول منطق التعارف والتقارب ضمن نسق من التّعايش وتقبّل الآخر المختلف في الدّيانة والثقافة.

ب. ثقافة التعايش وتعايش الثقافات

يتّجه القول بثقافة التعايش إلى التربية على التّعايش عبر عدّة آليات تدعّم وتشجع العيش المشترك والتعاون بين الأفراد والمجتمعات، المختلفين في العرق والجنس، والديانة، والثقافة، واللغة، والخلفية الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية وغيرها، وتهدف هذه الثقافة إلى ترسيخ مبدأ التعدّد الثقافي حيث يسود الاحترام والتسامح والتعاون

بين الأفراد والجماعات، وتعتبر ثقافة التعايش أساسًا جوهريا في بناء المجتمعات، وفي هذا السّياق نعرّج في إطلالة على مفهوم الثقافة في المعجم اللّغوي، فالثقافة في اللّسان العربي» الثَّقافَةُ: مصدرُ قولكَ: رَجُلٌ ثَقْفٌ لَقْفٌ، أي: حاذقٌ خَفيفٌ. وهي الحَصافةُ، يُقالُ: رَجُلٌ حَصيفٌ أي: مُحْكَمُ العَقْلِ[13] وهي أيضا من «ثَقُفَ الشيءَ ثَقْفاً وثقافاً وثُقُوفةً: حَذَقَه. وَرَجُلٌ ثَقْفٌ وثَقِفٌ وثَقُفٌ: حاذِقٌ فَهِم، وأَتبعوه فَقَالُوا ثَقْفٌ لَقْفٌ. وَقَالَ أَبو زياد: رَجُلٌ ثَقْفٌ لَقِفٌ رامٍ راوٍ. وقال اللِّحْيَانِيُّ: رَجُلٌ ثَقْفٌ لَقْفٌ وثَقِفٌ لَقِفٌ وثَقِيفٌ لَقِيفٌ بَيِّنُ الثَّقافة واللَّقافة. وقال ابْنُ السِّكِّيت: رَجُلٌ ثَقْفٌ لَقْفٌ إِذَا كَانَ ضابطاً لمَا يَحْوِيه قَائمًا به. وَيُقَالُ: ثَقِفَ الشيءَ وَهُوَ سُرعةُ التَّعَلُّم. وقالَ ابْنُ دُرَيْد: ثَقِفْتُ الشَيءَ حَذَقْتُه، وثَقِفْتُه إِذَا ظَفِرْتَ به»[14] ومن المفاهيم المرتبطة بمفهوم الثقافة وتؤسّس لمعنى التعايش نجد مفهوم التثاقف الذي يدلّ في صيغته اللّغوية على وجود تفاعل أي تأثّر وتأثير، وعلى وجود تبادل بين طرفين أو أطراف، ويُحمل في الجملة على معنى القبول والتأقلم مع الآخر المخالف كما يمكن أن تدور الصيغة الاصطلاحيّة حول عمليّة تحويل وانتقال الثقافات عبر مسالك وأساليب تختلف وتتنوّع باختلاف أنماط وطرق التّواصل بين الشعوب والأمم على مرّ الزّمن. وفي صياغة مجلس أبحاث العلوم الاجتماعية (SSRC ، 1954) ، عُرّف التثاقف على أنه «تكيف انتقائي لأنظمة القيم»[15]، ويعتبر سياق الهجرة من أهمّ السياقات التي طرح ضمنها هذا التكيّف على اعتبار مدى تأقلم ثقافة الغرباء مع الثقافة الأصلية، ثمّ مدى تأثّر هذه الثقافة الأصليّة بالثقافة الوافدة. ومن خلال هذا المقام التفاعلي التكيّفي الانتقائي بين الأصلي والوافد يمكن أن تطفو ثقافة على حساب الأخرى، كما يمكن أن تهيمن ثقافة على أخرى وهو الإطار الذي ظهر ضمنه مشروع الحوار بين الثقافات أوما يسمّى أحيانا حرب الثقافات، فإذا كان المقام، مقام حوار فسيكون مستندا إلى معاني المشاركة والاحترام وإرادة التعايش، أمّا إذا كان المقام مقام حرب فإنّه سيكون مستندا إلى معاني المغالبة

(13) الفارابي إسحاق ، معجم ديــوان الأدب، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، 2003، 275/2

(14) ابن منظور، لسان العرب، 19 /09

(15) - Paul N., Lakey, Acculturation: a Review of the Literature, Intercultural Communication Studies XII-2 2003

وإرادة الهيمنة، فالمشاركة والمغالبة ترتبطان في هذا السّياق بعمليّة التثاقف بالمعنى الحضاري العام، وبالمعنى الدّيني بصفة خاصّة، أي التثاقف بين الدّيانات المختلفة عبر التفاعل والتكيّف بين أصحاب الدّيانات المختلفة، لا سيّما ضمن الواقع العالمي الذي تجاوز الحدود الجغرافيّة واصطبغ بصبغة الرّقمنة التي هيمنت على جميع مجالات الحياة بما في ذلك المجال الدّيني، ممّا يُيسّر عمليّة التثاقف الدّيني عبر الفضاءات الرّقميّة، ويمكن أن يمثّل التثاقف آلية تعايش، وتشجيع للتفاعل والتواصل بين المختلفين في الدّيانات، وإيجاد الحلول العملية للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، كما تعزز ثقافة التعايش الوعي بالتنوع الثقافي وتجويد الاحترام والتقدير للتراث الثقافي والتقاليد والقيم المتنوّعة والمختلفة، وتكتسي ثقافة التعايش أهميتها من تطوّر حاجات المجتمعات الحديثة لتجسير العلاقات، وتحقيق السلم والتقدم والاستقرار في العالم، إذ تعمل هذه الثقافة على تعزيز العيش المشترك، والحد من التمييز والعنصرية والتحيز، من جهة، والتعاون على تحقيق العدالة والمساواة، من جهة أخرى. كما تعتمد ثقافة التعايش على الاحترام المتبادل بين الأفراد، والاعتراف بالتنوع الثقافي والاجتماعي والديني واللغوي والجنسي، وتشجيع الحوار البناء والتفاعل بين الأفراد المختلفين، ومن مزايا ثقافة التعايش المساعدة على مواجهة التحديات الاجتماعية والاقتصادية والسيّاسية التي تواجه المجتمعات المتعددة الثقافات، مثل النزاعات الداخلية والخارجية، وذلك عبر دعم منسوب الثقة والاحترام بين الأفراد المختلفين، ومن ثمّة تساعد هذه الثقافة على توفير الاستقرار والسلم الاجتماعي، وتقتضي ثقافة التّعايش وجود التنوّع والتعدّد، باعتبارها أسلوب حياة ينشأ عليه الإنسان انطلاقا من سيادة قانون الاختلاف في الكون طبيعيا، وشاهده اختلاف اللّيل والنّهار[16] واجتماعيا وشاهده اختلاف الألسنة والألوان والأقوال والأفكار[17] ولذلك يمكن أن ترسخ

فالمشاركة والمغالبة ترتبطان في هذا السّياق بعمليّة التثاقف بالمعنى الحضاري العام، وبالمعنى الدّيني بصفة خاصّة

(16) انظر: سورة البقرة: 164، سورة آل عمران: 190، سورة يونس: 06، سورة المؤمنون: 80، سورة الجاثية: 05،

(17) انظر : هود: 118، ، فاطر: 28، سورة الرّوم: 22، سورة الذّاريات: 08، سورة النّبأ: 03

فكرة العيش المشترك رغم اختلاف الثقافات، وهو ما يطلق عليه التعايش بين الثقافات المختلفة في نفس المجتمع، ويشمل هذا قبول الاختلافات الثقافية. ومن أجل تحقيق هذا التعايش، يجب على الأفراد من جميع الثقافات أن يحترموا بعضهم البعض، ويتعلموا المزيد عن ثقافات بعضهم البعض. وبما أن التعايش الثقافي يعتمد على الحوار والتفاهم، فإن الإمر يتطلب تملّك مهارات التّواصل ضمن نسق من التّنشئة الاجتماعية تتكفّل به المؤسّسات الرّسمية كالأسرة والمدرسة والدّولة. إذ يتعين على الأفراد العمل على تعلم الثقافات الأخرى وتطوير المهارات اللازمة للتواصل الفعال بين الثقافات المختلفة، والتعرف على القيم والتقاليد والمعتقدات الأخرى واحترامها. ويمكن تحقيق ذلك من خلال العمل على تعزيز الحوار الثقافي والتفاعل المباشر بين الأفراد المختلفين، وإنشاء مؤسسات ومبادرات تهدف إلى تعزيز التعايش الثقافي. وذلك لما للتعايش الثقافي من قدرة على تعزيز الازدهار الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع.

مرجعيات التّعايش بين الدّيانات (التأصيل)

إنّ التّعايش بين الدّيانات ممتدّ في جذوره إلى وحدة الإنسان في نوعه ونشأته، وإلى اختلاف أفكاره ومعتقداته وممارساته

نشأت فكرة التّعايش بين الدّيانات كخيط ناظم يشدّ مفهوم وحدة الدّين إلى مفهوم التعدّدية الدينية، وتستند هذه الفكرة إلى جملة من المرجعيات تضفي عليها مشروعية الممارسة، أي إنّ التّعايش بين الدّيانات ممتدّ في جذوره إلى وحدة الإنسان في نوعه ونشأته، وإلى اختلاف أفكاره ومعتقداته وممارساته. ولذلك تستند فكرة التعايش إلى جملة من القواعد والمبادئ الأساسيّة، وتتمثّل هذه القواعد في: الاحترام المتبادل، إذ ينبغي على الأفراد في المجتمعات المتعدّدة الثقافات الاحترام المتبادل وتقدير الثقافات المختلفة، وتقبل وجود الاختلافات، والاحتفاء بها بدلاً من محاولة تجاهلها أو إقصائها. وقاعدة التسامح، وقاعدة الحوار والتواصل الفعّال، وقاعدة تعلّم وتعليم الثقافة المختلفة ضمن نسق من الانفتاح والقبول، وقاعدة التعاون والاهتمام بالمصالح والأهداف المشتركة.

وتجدر الإشارة إلى أنّه يمكن توزيع مرجعيات التعايش بين الدّيانات إلى ثلاثة أنواع: مرجعية علمية نظريّة، ومرجعية تاريخية ، ومرجعية نفسيّة ، ومرجعية اجتماعية ثقافية، ومرجعية سياسيّة واقتصاديّة.

أ. المرجعية العلمية

تعتمد المرجعية العلمية لتعايش الديانات والثقافات على مجموعة من المفاهيم العلمية والنظريات، من بينها:

النظرية الاجتماعية للتعددية الثقافية: حيث تشير هذه النظرية إلى أن التعددية الثقافية هي حالة طبيعية في المجتمعات البشرية، وأن التعايش السلمي بين الثقافات يمكن تحقيقه من خلال التفاهم والتعاون. وتهدف إلى الاعتراف بقيمة التنوع الثقافي داخل المجتمع وتعزيز التفاعل الإيجابي بين الثقافات المختلفة. ويعود أصل هذه النظرية إلى الفيلسوف الكندي تشارلز تايلور Charles Taylor الذي وضع أسسها في كتابه «مصادر الذات Self and Society» عام 1989[18]، وتعتبر هذه النظرية جزءًا من النظريات الحديثة التي تتعامل مع الهوية والثقافة في المجتمعات المتعددة الثقافات[19]، وتشير إلى أنّ المجتمعات المتعددة الثقافات ينبغي أن يسود فيها الاهتمام بالثقافات المغايرة، والاحترام المتبادل والتعايش السلمي بينها، والتشجيع على الحوار والتفاعل المستمرين بين الأفراد والجماعات من خلال الأنشطة والفعاليات الثقافية المشتركة، كما تحثّ على الاعتراف بالتفاوت الثقافي وتقديره وتعزيزه كجزء من الهوية الفردية والجماعية[20] . ولذلك يشكّل التعدد الثقافي في المجتمعات الحديثة مسألة حيوية في تحقيق التعايش السلمي، وتتزايد أهميتها يوماً بعد يوم، لذلك تُستخدم هذه النظرية في العديد من المجالات مثل السياسة والتعليم والإعلام والثقافة والفنون وغيرها، بهدف تعزيز التفاهم والتعاون بين الثقافات المختلفة وتحقيق التنمية والازدهار المستدام للمجتمعات المتعددة الثقافات[21]. كما يمكن إدراج محاولات الدّارسين والباحثين في شأن العلاقات والتفاعلات الدّوليّة والدّيبلوماسية في جميع المجالات المشتركة ضمن نسق من التأطير

(18) Taylor, C. (1989). Sources of the Self : The Making of Modern Identity. Cambridge, MA : Harvard University Press.

(19) Kymlicka, W. (2010). The Current State of Multiculturalism in Canada and Research Themes on Canadian Multiculturalism. Canadian Journal of Political Science, 43(4), 755772-.

(20) Parekh, B. (2000). Rethinking Multiculturalism: Cultural Diversity and Political Theory. New York: Palgrave Macmillan

(21) Vertovec, S. (2010). Towards post-multiculturalism? Changing communities, conditions, and contexts of diversity. International Social Science Journal, 61(199), 8395-.

والتّنظير لتسوية للنّزاعات الخلافات، على اعتبار أنّ الدول والشعوب ليست دائماً في حالة سلام، بل تتنافس وتتعارض مع بعضها البعض في سبيل السيطرة على الموارد والنفوذ والسلطة. ولذلك ينبغي التركيز على التكامل بين الثقافات المختلفة، وعلى أهميّة التفاعلات الاجتماعية بين النّاس في تأسيس التّعايش.

يشكّل التعدد الثقافي في المجتمعات الحديثة مسألة حيوية في تحقيق التعايش السلمي، وتتزايد أهميتها يوماً بعد يوم

نظرية الانفتاح الثقافي: وهي نظرية عامة تمتد عبر مختلف المجالات الاجتماعية والعلمية مثل علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الأنثروبولوجيا وغيرها. وقد تم تطوير هذه النظرية من خلال العديد من الدراسات والأبحاث التي تركزت على التفاعلات الثقافية والاجتماعية بين الأفراد والمجتمعات. ومن المهم أن نلاحظ أن هذه النظرية تم تطويرها واعتمدها العديد من الأكاديميين والباحثين في مختلف أنحاء العالم، وتعتبر مفهوماً هاماً في دراسة الثقافة والتفاعلات الاجتماعية. ومن بين هؤلاء الباحثين المهمين الذين أسهموا في تطوير نظرية الانفتاح الثقافي،(مارتن هوفستيد، 1980) الذي اهتمّ بالأبعاد الثقافية في نظرية الأبعاد الثقافية (Hofstede's Cultural Dimensions Theory,1980) وهي نظرية اجتماعية وثقافية تركّز على دراسة الاختلافات الثقافية بين مختلف الدول، وتعتمد هذه النظرية على مقارنة بين الدول وتحليل الاختلافات بينها على أساس مجموعة من الأبعاد الثقافية، وتشير هذه النظرية إلى أنّ الانفتاح على الثقافات المختلفة والتعرف على تفاصيلها وخصائصها يمكن أن يساعد في تحقيق التعايش السلمي بينها. وفي الجملة يمكن القول بأنّ المرجعيات العلمية لتعايش الثقافات تدلّ على أن تقبّل الآخر والتواصل المفتوح والانفتاح على الثقافات المختلفة والاحترام المتبادل تمثّل أساسًا لتحقيق التعايش السلمي بينها.

ب. المرجعية التاريخية

تجد فكرة التعايش بين الدّيانات مرجعيتها التاريخية في العودة

إلى ما شهدته بعض المجتمعات والحضارات من ممارسات التآلف والتقارب، لا سيّما تلك المجتمعات التي تعدّدت فيها الدّيانات والمعتقدات. وتُعدّ المرجعية التاريخية لتعايش الدّيانات والثقافات من أهم العوامل التي أسهمت في بناء العلاقات الإنسانية وتحقيق التعايش السلمي بين الشعوب، ويمكن للبحث في منجزات الحضارات الإنسانية المتعاقبة أن يكشف عن شواهد وأدلة على مظاهر وأشكال مختلفة من التّعايش والتوافق بين المختلفين في الأفكار والمعتقدات، فقد تميزت الحضارة الإسلامية بالتسامح والاحترام للثقافات الأخرى، وقد أدّت هذه العلاقة المبنية على التعايش والتعاون بين الثقافات إلى تعزيز الحوار الثقافي والتفاعل الإيجابي بين المختلفين، « فالإسلام يقوم على أسس التعايش بين فئات البشر مع اختلاف أعراقهم ولغاتهم ودياناتهم، ويرفض العزلة والانطواء. فالعصور الذهبية التي ميزت الحضارة الإسلامية كانت قد عرفت بودها تجاه موسى بن ميمون اليهودي والراهب هربرت»[22]. كما تشير بعض الدّراسات التي اهتمّت بتاريخ العلاقات والتعايش بين الدّيانات إلى أنّ « الحروب بين المسلمين والبيزنطيين استمرّت متقطّعة بعد عصر الخلفاء الراشدين، لكن مع نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي بدا واضحا أن الطرفين كليهما قد اقتنعا بأنه من الأفضل لهما ترتيب علاقاتهما على أساس الاحترام المتبادل ورعاية حقوق كل منهما لدى الآخر، ذلك أن تجارب الماضي قد علمتهم أن التعايش السلمي وتبادل المنافع أفضل كثيرا من الحروب وسفك الدماء. والدليل على ذلك أن العلاقات بين أكبر دولتين في ذلك الزمان قد زخرت بكل أنواع النشاط الدبلوماسي الذي لا يقلّ عمّا تراعيه الدّول في علاقاتها في وقتنا الحاضر، وممّا يجدر التنويه به أنّ المسلمين والبيزنطيين قد أرسوا في تلك العصور الوسطى كثيرا من الأسس والقواعد والتقاليد الدبلوماسية الحقة في العلاقات الدولية، وتمثل

فالإسلام يقوم على أسس التعايش بين فئات البشر مع اختلاف أعراقهم ولغاتهم ودياناتهم، ويرفض العزلة والانطواء

(22) ابن نبي، مالك، حجّ الفقراء، ترجمة: زيدان خوليف، دار الفكر آفاق معرفة متجددة، ط1، 2009 ، ص 20.

ذلك في طريقة عقد معاهدات الصلح، وتبادل الوفود والمراسلات والهدايا، والبعثات العلمية، وحتى المجاملات كان لها مكان بارز في تاريخ العلاقات بين الدولتين، فكثيرا ما وصلت بعثات دبلوماسية ووفود من عاصمة إحدى الدولتين إلى عاصمة الدولة الأخرى للتهنئة بحدث كبير، كتولية خليفة أو إمبراطور، على سبيل المثال، كما كانت الدولتان تتعاونان في مجال المشاريع العمرانية، والتأثيرات المتبادلة... ولا شك في أن إبراز تلك الجوانب الطيّبة من العلاقات الوديّة وحسن الجوار والجنوح إلى التعايش السلمي، وجو التسامح الذي كان يسود في كثير من الأحيان، لا شك أنّ كلّ ذلك يسهم في صياغة علاقات حسنة بين الشرق الغرب في عصرنا الحاضر، نحن أحوج ما نكون إليها، فلا أحد يجني الخير من العداء والتعصب، بل الخير كل الخير للإنسانية كلها في التسامح وتبادل المنافع وإشاعة روح الود والتعاطف بين أبناء آدم، وهذه كلها أمور تحثنا عليها أديانا السماوية»[23] وقد أمدّنا الرحّالة ابن بطّوطة(1304-1377م) بأخبار عن الجماعات اليهودية التي كانت منتشرة هنا وهناك، فكما كانت الرحلة مصدرا هاما للعقيدة الإسلامية كانت مرجعا لأهل الديانات الأخرى التي كانت تتعايش فيما بينها طوال التاريخ.[24] وفي الحضارة اليونانية علامات كثيرة تدلّ على وجود التسامح والاحترام للديانات والثقافات المختلفة، وكان لها دور كبير في تأسيس الحوار الفلسفي والتفاعل الإيجابي بين المختلفين. وكذلك في الشأن في الحضارة الرومانية، والحضارة الصينية التي تميزت بقدرتها على الاستيعاب والتلاؤم بين الثقافات، والحضارة الهندوسية. ويعتبر التعايش بين الدّيانات والثقافات من أهمّ السّمات التي تضفي صفة التحضّر على الشعوب والمجتمعات، بل لعلّها أداة فعّالة في إضفاء معنى الحضارة على إنجازات مجموعة بشرية معيّنة حقبة تاريخية محدّدة، وإطلاق صفة الحضارة عليها. وقد اهتمت عديد الدراسات بمسألة تاريخ التّعايش بين الدّيانات وفق مقاربات مختلفة.

(23) محمّد عبد اللّطيف عبد الشّافي، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام ، القاهرة، ط1 ، 2007، ص 301 - 317

(24) أبـو عبد اللّه الطنجي، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسـفـار)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1996، 137/1.

ج. المرجعية النفسيّة والاجتماعية (صورة الذات والآخر)

يتأسّس الحديث عن اعتماد المرجعية النّفسية والاجتماعية في بناء التّعايش بين الدّيانات من اعتبار أهميّة التفاعلات النّفسيّة والاجتماعية بين مكوّنات كلّ مجتمع / مجتمعات، لأنّ هـذه التفاعلات هي المظهر الأوّل على وجود التّعايش، فالتأثر والتأثير ضمن نسق من التّواصل بين المختلفين هو السّمة التّفاعليّة للفرد والمجتمع، وتعمل المقاربة النفسية الاجتماعية على تفسير العلاقة بين الفرد والمجتمع وتحاول فهم تأثير العوامل الاجتماعية على السلوك الفردي والاستجابة النفسية، كما تركز هذه المقاربة على العوامل الاجتماعية والثقافية التي تؤثر على النمو النفسي والسلوك الإنساني، وتعتبر هذه المقاربة أنّ الإنسان يعيش ويتفاعل في محيط اجتماعي، وأن التفاعلات بين الفرد والمجتمع تشكل الطبيعة الإنسانية، وتُعتبر والمقاربة النفسية الاجتماعية مهمة جداً في فهم السلوك الإنساني وفهم الظواهر الاجتماعية والثقافية، ويمكن استخدامها في العديد من المجالات، مثل السياسة والتربية والصحة النفسية والعلاقات الإنسانية. كما تستعمل هذه المقاربة عدّة مفاهيم أساسية، بما في ذلك الهوية الاجتماعية، والتفاعل الاجتماعي، والتعلّم الاجتماعي، والتأثير الاجتماعي، والسيطرة الذاتية، كما ترّكز هذه المقاربة على أهمية الثقة بالنفس والتعلم من الخبرات الاجتماعية، بما في ذلك الخطأ والصواب، وكذلك على العوامل التي تؤثر على اتخاذ القرارات والسلوك. وتعتبر المرجعية النفسية لتعايش الثقافات من الموضوعات المهمة في علم النفس الاجتماعي والثقافي، إذ ترتكز هذه المرجعية على فكرة أنّ الأفراد الذين يعيشون في مجتمعات مختلفة يمكنهم التفاعل والتعايش بشكل إيجابي إذا كانت لديهم الإرادة والرغبة ، وذلك باعتماد جملة من الآليات والأساليب الاجتماعية، كالاحترام المتبادل، وهو التقدير والاحترام للثقافات الأخرى، وعدم التفرقة بينها أو التعالي على أيّ

التعايش بين الدّيانات والثقافات من أهمّ السّمات التي تضفي صفة التحضّر على الشعوب والمجتمعات

منها. وتبادل ومشاركة المعرفة والخبرات والمهارات بين الأفراد من ثقافات مختلفة، ممّا يُسهم في تعزيز التفاهم والتعاون بينهم. وحسن إدارة الاختلافات الثقافية والتعايش معها بصورة طبيعية وسلميّة....

وباعتبار أنّ المرجعية النّفسية والاجتماعية تستند إلى الاعتقاد في أهميّة الحوار والتواصل المفتوح بين الأفراد من ثقافات مختلفة، وأن الاختلافات الثقافية لا يجب أن تؤدي إلى الصراعات والتمييز، ولا أيّ شكل من أشكل العنف، بل ينبغي توجيه هذه الاختلافات ناحية اللاعنف الذي « أشعّ كتيّار ثقافي عالمي إلى أبعد من دير المهاتما(1869- 1948م)، متعمّقا في (لا شعور) الإنسانية، متدفقاً في أفعالها وأفكارها، في تلك الظروف الرهيبة التي أعلنت فيها الحرب العالمية الثانية. ومن الصّعب أن نتتبع مسار هذا التيار النفسي دون أن نقول ببساطة أنّ فكرة (التعايش) ليست إلا تدفقاً لعدم العنف.»[25] كثقافة تمتدّ في تشكّلاتها إلى جميع مجالات التّفاعل الإنساني، على اعتبار أنّ هذه المجالات يمكن أن تمثّل في حدّ ذاتها مرجعيات في بناء ثقافة التّعايش بين الدّيانات، مثل المجال الاقتصادي والمجال السّياسي، ممّا يسمح بالقول باعتماد المرجعية السّياسية والاقتصادية في الحديث عن التّعايش.

(25) ابـن نبي مـالـك، فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر بادونغ، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط3، 2001، ص 184

ج. المرجعية السّياسية

يتأسّس الحديث عن المرجعية السّياسيّة في بناء ثقافة التعايش بين الدّيانات ضمن نسق البحث في العلاقة بين نمط الفلسفة السياسية لنظام الحكم والثقافة السياسية السائدة، إذ يشير نمط الفلسفة السياسية لنظام الحكم إلى جملة المبادئ والقيم التي يعتمدها النظام السياسي في توجيه السلطة واتخاذ القرارات السياسية، وهناك العديد من أنماط الفلسفية السياسية التي يمكن أن تحتضن التعايش بين الأفراد والمجتمعات المختلفة، وفي هذا السّياق يعتبر نمط الفلسفة الليبيرالية، التي تؤمن بأهميّة حقوق الفرد وحرياته الأساسية، وتعزز مفهوم المساواة والعدالة الاجتماعية، وتركز أهمية قوانين الدولة وحقوق الإنسان، نمط يشجع على ثقافة التعايش السلمي بين مختلف

الثقافات والمعتقدات. وكذلك يعتبر تشجع الفلسفة الجمهورية على المشاركة السياسية النشطة للمواطنين وتشكيل القرارات العامة بطريقة ديمقراطية. كما تعزّز فكرة التعايش عبر الحوار والتفاهم بين أفراد المجتمع وتسعى إلى تحقيق المصلحة العامة.

وكذلك تركز الفلسفة البلورالية [26]على قبول واحترام التنوع والاختلاف في المجتمع. فهي تروج لفكرة أنّه يمكن لمختلف الثقافات والدّيانات والمعتقدات أن تعيش جنبًا إلى جنب دون تمييز أو تفضيل لأحدها، وتسعى لتحقيق التعايش السلمي بين المجتمعات المتعددة. و»تعني أطروحة البلورالية الاعتراف برسمية التعدد والتنوع في الثقافات والدّيانات واللغات والتجارب البشرية، والبلورالية، أي التعددية، بالشكل الموجود حالياً تُعدّ من نتاجات الحضارة الجديدة وتبحث في مجالين مهمين : أحدهما مجال الدّيانات والثقافات، والآخر المجال الاجتماعي. فهناك بلورالية في المعرفة الدينية وبلورالية في المجتمع، أي الدّين البلورالي والمجتمع البلورالي، كما أنه يوجد هناك ارتباط وثيق بينهما، بمعنى أنّ الأشخاص الذين يذهبون إلى القول بالتعدّدية على المستوى الثقافي والديني، لا يمكنهم التنكّر لمقولة التعددية الاجتماعية «[27] وإذا حاولنا البحث في أدبيات الفلسفة السّياسيّة سنجد زخما هائلا من الإنتاجات والإبداعات التي اهتمت بهذا الشأن[28]. ذلك أنّ للنظام السياسي السّائد في أي بلد الأثر المباشر في تأسيس أي مشروع مجتمعي عبر سلوك منهج التّنشئة الاجتماعية الذي يخدم ذلك النّظام، باستخدام جميع الوسائل المتاحة كالتّعليم والإعلام والثقافة، ومن ثمّة بناء ثقافة سياسية محدّدة تعكس القيم والمعتقدات والتوجهات السياسية للمجتمع بصفة عامة. فإمّا أن تكون هذه الثقافة السياسية متشبّعة بمعاني وقيم الحوار والتعددية والشفافية، واحترام الآخر المخالف، أو أن تكون مشحونة بمعاني التحيز والتمييز والانقسامات العميقة ورفض الآخر المخالف. ولذلك يمكن القول بوجود علاقة مطّردة بين الثقافة السياسية السائدة ونمط الفلسفة السياسية لنظام

(26) PERELMAN, C. (1979). LA PHILOSOPHIE DU PLURALISME ET LA NOUVELLE RHÉTORIQUE. Revue Internationale de Philosophie, 33(127,(128/ 17–5. http://www.jstor.org/stable/23944012

(27) القبانجي أحمد، قراءة في البلورالية الدينية أو الصراطات المستقيمة، الحوار المتمدّن- العدد -3968 10/01/2013 تاريخ زيارة الموقع: 11/ 05/ 2023 https//:www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid340262=

(28) أعدّ صخير محمّد بتاريخ: 25/ 03/ 2023 قائمة بمائة كتاب في الفلسفة السّياسية ونشرها على الموقع التّالي: https://www.politics-dz.com/ar

الحكم، حيث يتأثّر النظام السياسي بالقيم والمعتقدات السائدة في المجتمع، من جهة تشكّله، ويؤثّر فيها من جهة حمايتها توظيفها لضمان استمراريته. فقد يكون نمط الفلسفة السيّاسية ديمقراطيا يؤمن بالحريات الفردية وحقوق الإنسان، ويحرص على بناء ثقافة التعايش واحترام الآخر، ممّا يسمح بتعايش الثقافات والدّيانات. وقد يكون نمط الفلسفة السّياسية شموليا أقرب إلى التوسّل بالقمع والسيطرة، ممّا يسمح بضعف ثقافة التّعايش، وسيادة رفض الآخر المخالف.

ولذلك أصبح التعايش بين الديانات تحديًا هامًا في العديد من المجتمعات حول العالم، المختلفة في مرجعياتها السياسية، إذ يمكن توظيف جملة من المفاهيم والنّظريات ذات العلاقة بالمجال السّياسي والمجال الاقتصادي في بلورة المفهوم العام للتّعايش، بما في ذلك مفهوم الديمقراطية، على اعتبار أنّها تعني توزيع السلطة والقرارات بشكل عادل وديمقراطي، وتمكين الأفراد من المشاركة الفعالة في صنع القرارات التي تؤثر في حياتهم. فالديمقراطية من أهمّ الآليات السياسية الأساسية التي تسعى إلى تعزيز حقوق الأقليات الدينية وتمكينها من المشاركة السياسية، وضمان المشاركة العادلة لجميع المجتمعات الدينية في العملية السياسية واحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية، يمكن تحقيق بيئة أكثر تسامحًا وتعايشًا.

أصبح التعايش بين الديانات تحديًا هامًا في العديد من المجتمعات حول العالم

وتتعاضد المرجعية السّياسية مع المرجعية الاقتصادية في بناء ثقافة التّعايش بين الدّيانات، لا سيّما في ظلّ اكتساح جملة من المفاهيم الجديدة لواقع الإنسان، كمفهوم العولمة الذي اتّجه إلى التأكيد على تكامل الاقتصاديات والثقافات في سياق عالمي، وتشجيع التفاعل بين الدول، والشعوب والتبادل الثقافي والاقتصادي. ومفهوم الانفتاح، الذي اتّجه إلى التأكيد على أهميّة تقبّل الثقافات الأخرى والتعايش معها بشكل سلمي، وتحقيق الاحترام المتبادل والتعاون في مجالات مختلفة. ومفهوم العدالة الاقتصادية، الذي اتّجه إلى

التأكيد على أهميّة تحقيق التوزيع العادل للثروة والموارد، وتقليل الفجوات الاقتصادية بين الدول والشعوب، وتشجيع التبادل التجاري والاستثمار. ومفهوم الحوار السياسي، الذي اتّجه إلى التأكيد على التشجيع على المشاركة في الحوار السياسي والتفاعل الإيجابي بين الدول والثقافات المختلفة، وتحقيق الحلول السلميّة للصراعات السياسية. وأمام جميع هذه الاتّجاهات والتّوكيدات التي جاءت بها مفاهيم الإنسان الجديد والمواطن العالمي، تبقى السّياسة والاقتصاد وسيلتان فعّالتان لتحقيق التّعايش، وعلى الرغم من أنّ التّحدّيات السياسية والاقتصادية يمكن أن تكون صعبة، إلا أنّ التعاون والتفاهم يمكن أن يساعد على تجاوز هذه التحدّيات. لا سيّما وأنّه يمكن أن يتمّ تطبيق المرجعية السياسية والاقتصادية من خلال السياسات الحكومية والإجـراءات الاقتصادية التي تعزز التعايش الثقافي، وتشجّع على التعاون والتفاهم بين الأفراد من ثقافات مختلفة.

قبول الآخر في الثقافة الدّينية (الممارسة)

يقتضي تفكيك مفهوم القبول(Acceptation) الوقوف على المعنى المقابل له وهو الرّفض (Denial)، وأن تتوفّر جملة من المعايير والضّوابط النّفسيّة والاجتماعية والأخلاقية والقانونية في بناء عمليّة قبول الآخر المختلف، أو رفضه، وتشمل هذه العملية جميع مظاهر وأشكال التّواصل بين الأفراد والمجتمعات والشعوب والدّيانات، وذلك عبر جملة من الوسائل والأدوات ذات علاقة بسلوكيات الإنسان وتصرّفاته مثل « القبول النّفسي، والقولي، والفعلي ويقابله الرّفض النّفسي والقولي والفعلي»[29]. ويتطلّب قبول الآخر في الثقافة الدينية الاحترام المتبادل والتفاهم والتعايش بسلام كما يتعيّن على الأشخاص أن يفهموا أن هناك اختلافات في المعتقدات والعقائد الدينية، وأن هذه الاختلافات يمكن أن تخلق توتّرات بين الأشخاص، ولكن يجب تجنّب الوقوع في الانحياز والتحامل والتعصّب الديني. ومن المهمّ أيضًا أن يكون الحوار البنّاء والمفتوح هو السائد بين

ويتطلّب قبول الآخر في الثقافة الدينية الاحترام المتبادل والتفاهم والتعايش بسلام

(29) انظر في ذلك : الأسدي فضيلة عبد العبّاس، معاني القبول والرّفض في القرآن الكريم، دراسة في الألفاظ والأساليب، رسالة دكتوراه، جامعة الكوفة، العراق 2009.

الأشخاص الذين يختلفون في المعتقدات الدينية، وأن يتمّ الحفاظ على الاحترام المتبادل، وعدم التعرّض للمعتقدات الدينية للآخرين بشكل مهين أو مهدّد. وأن يحترم الأشخاص الذين ينتمون للديانات الأخرى بنفس الطريقة التي يريدون أن يحترموا بها معتقداتهم الدينية. وتحثّ جميع الدّيانات على قيم المحبّة والتّعايش السّلمي وقبول الآخر المختلف، ولعلّ من أهمّ الأمثلة التي تشهد على ذلك في التاريخ الإسلامي، ما عرفه نسق تطوّر العلوم الإسلامية من مظاهر وآثار ذات امتدادات وتقاطعات يشهد لها الزّخم الهائل من المؤلّفات في شتّى العلوم، وكان علم الكلام من أكثرها حضورا في مدوّنة العلوم الإسلامية عبر تشكّلات الجدل والمناظرة ضمن دائرة موضوعات واهتمامات هذا العلم، وضمن دائرة علاقته بالعلوم الأخرى. فكان علم الكلام شاهدا على تطوّر حركة الفكر والتّفكير في العالم الإسلامي، وكان من أهمّ العلوم التي فتحت مسالك على الفكر والتفكير في العالم الغربي عبر أعمال وأشغال أسّست لأدبيات البحث في علم الكلام وفق قراءات غربيّة تحاول أن تساهم في وضع ملامح تشكّلاته ومنهجه، لا سيّما وأنّه علم يدور عبر تاريخه حول الإلهيات، سواء من جهة تناول مسائل الذّات والصّفات، أومن جهة البحث في النبوات والسمعيات. وفي الفكر الإسلامي شواهد وأدلة كثيرة على عمليّة التعايش بين الدّيانات، لا سيّما في ظلّ ما شهده من تطوّر امتدّت مظاهره وآثاره إلى أصقاع العالم، يشهد لها الزّخم الهائل من المؤلّفات في شتّى العلوم، لاسيّما علم الكلام والفرق والمذاهب والدّيانات، عبر تشكّل أسلوب الجدل والمناظرة ضمن دائرة موضوعات واهتمامات هذه المعارف. ويجسّد كتاب «الفصل في الملل والأهواء والنّحل» لابن حزم الأندلسي نموذجا وصورة واضحة لعمليّة التعايش بين الدّيانات في الفكر الإسلامي وهي تراوح بين المشاركة والمغالبة، أو بين فقه المواجهة وفقه المعاملة(حيدر حبّ اللّه، 2020)، لترسم ملمح الآخر الدّيني ضمن مدار علم

تحثّ جميع الدّيانات على قيم المحبّة والتّعايش السّلمي وقبول الآخر المختلف

الكلام والفرق والمذاهب والدّيانات. وقد شهدت الأندلس في القرن الخامس للهجرة ذروة الخلاف بين الدّيانات الثلاث اليهودية والنّصرانية والإسلام... وفي خضّم هذا الواقع وجد ابن حزم نفسه أمام المجادلين، فاطّلع على كتب التوراة الخمس وبقية الأسفار وأعدّ نفسه ليجادلهم، وفي هذا الإطار يندرج اعتبار كتاب الفصل في الملل والأهواء والنّحل الذي يُعدّ موردا مهمّا لعرض الديانات والملل والنّحل، بما فيه من مسائل متفرّقة في مناقشة اليهود والنّصارى وغيرهما، ومناقشة الفرق والمذاهب الإسلامية المخالفة للمذهب الظّاهري. وتظهر المغالبة كشكل من أشكال التثاقف الدّيني عند ابن حزم وفق ثلاثة مستويات في هذا المصنّف: يظهر المستوى الأوّل في خاصيّة التّعميم، إذ يكاد جدل ابن حزم لا يستثنى ملّة أو مذهبا خاض في المسائل اللاهوتية إلا وردّ عليه بأسلوبه وقطع معه سبل التواصل إلا من حيث إبطال مواقفهم. ويظهر المستوى الثاني في خاصيّة الشمول، إذ امتدّ التثاقف الدّيني إلى مجالات عديدة تبدأ من العقيدة ثم الشرائع وما يتبعها من تطبيقات أو سلوكيات تترجم تلك الشرائع إلى واقع قد تتضارب مصالح النّاس فيه وتختلف رغباتهم وأهوائهم.

وهنا تحضر المرجعيات وخاصّة الدّينية صافية أو بشوائبها (ما لحق بالنص من أفهام مختلفة)، فتقام المناظرات والجدل، وهو أمر محمود يؤسس للحوار والتواصل ومعرفة الآخر المخالف لتحقيق التعايش الجماعي، ولا شك أنّ ذلك في صميم ما جاءت به كلّ الديانات السماوية وهو جوهر التلاقي على منهج إنساني واحد. ويظهر المستوى الثالث في أسلوب المحاورة، التي تبدو حاضرة بالغياب، فابن حزم يستدعي في مناسبات كثيرة المخالفين ويناقش أفكارهم ويبرهن على بطلانها، دون أن يحضر هؤلاء المخالفين إلاّ في منسابات قليلة. وفي إطار طرح صور التّعايش بين الدّيانات يمكن اعتماد جملة من المؤشّرات المعبّرة عن هذا التّعايش

في صميم ما جاءت به كلّ الديانات السماوية وهو جوهر التلاقي على منهج إنساني واحد

لعلّ من أهمّها، إذ يكتسي التعايش بين الديانات أهميّة كبرى، لا سيّما في العالم الرّقمي اليوم الذي ألغيت فيه الحدود الجغرافيّة، وانصهرت فيه الثقافات المحليّة ضمن ثقافة عالمية، إذ تعبّر بعض المؤشّرات على هذا الانصهار، ونشير على سبيل الذّكر إلى مؤشّر الزّواج بين أفراد من ديانات مختلفة[30] ، ومؤشّر التسامح والتعايش السلمي، إذ يمكن قياس هذا المؤشر عن طريق متابعة مستوى العنف والتعصب الديني في المجتمع، وتطوير الخطط والبرامج الحكومية والاجتماعية التي تهدف إلى تحقيق التعايش السلمي بين الديانات المختلفة، وفي هذا السّياق أقرّت منظّمة اليونسكو يوم 16 تشرين الثاني (نوفمبر) من كلّ سنة يوما للتّسامح يوما دوليّا للتسامح[31] . بالإضافة إلى مؤشّر الاحترام المتبادل بين الدّيانات من خلال تعزيز الحوار والتفاعل والدّيني ، والمشاركة الدّينية ، كما يمكن قياس تأثير الإعلام على التعايش بين الديانات من خلال مراقبة المحتوى الإعلامي ومدى احترامه للديانات المختلفة، والتي يمكن أن تؤثر على التمثّلات ونظام المعتقدات الدينية للناس، ويمكن أيضا قياس مدى تعزيز الخطاب الديني للتسامح والتعايش بين الدّيانات المختلفة لما له من أثر مباشر في العلاقات بين النّاس. وإذا كانت هذه المؤشرات وغيرها ممّا يساعد على فهم وتفسير قبول الآخر في الثقافة الدّينية، فإنّ التعايش الدّيني بمعنى التبادل والتفاعل بين الدّيانات يمتدّ إلى تاريخ محاولة أيّ ديانة الانتشار والتوسّع خارج حدود ظهورها ونشأتها، ويمكن لتاريخ وعلم مقارنة الدّيانات أن يكون إطارا مرجعيا وأكاديميا للتعرّف على مظاهر هذا التعايش.

التعايش الدّيني بمعنى التبادل والتفاعل بين الدّيانات يمتدّ إلى تاريخ محاولة أيّ ديانة الانتشار والتوسّع خارج حدود ظهورها ونشأتها

(30) Prince, A. J. (1962). A Study of 194 Cross-Religion Marriages. The Family Life Coordinator, 11(1), 3–7. https://doi.org/10.2307581450/

(31) https://www.unesco.org/ar/days/tolerance

خاتمة

لقد وضعت الشّرائع الدّينية المختلفة أسسا وقوانينا تساعد على التعايش الدّيني وفق منطق المشاركة، ففي صريح نصوص القرآن الكريم وضمنيّ معانيه، وفي توقيعات عديدة منتشرة بين الآيات

والسور، شواهد على الدّعوة إلى تحقيق التعايش، وذلك مثل: المحاورة والمجادلة والمعاملة بالحسنى، واستعمال مختلف صيغ القول والكلام والتّواصل مع الآخر. بالإضافة إلى ذلك يمكن اعتبار علم المقارنة بين الدّيانات إطارا أكاديميا لدراسة مظاهر التعايش الدّيني وفق منهج علمي يضع الحدود والضوابط في التعامل مع الآخر الدّيني. وفي هذا السّياق تطرّق هذا المقال إلى مسألة ثقافة التّعايش بين الدّيانات من جهة تجذّرها في تاريخ الإنسان، ومن جهة مرجعياتها وممارستها، وممّا أمكن استنتاجه بعد طرح هذه المسألة، أنّ:

• لتوصيف المفاهيم أثر مهمّ في الإحاطة بإشكالية الموضوع، من ذلك أنّ مفهوم الدّين ذو طابع عالمي إنساني تتعدّد توظيفاته، لا سيّما وأنّه مقترن بظهور الإنسان ونشأة رغبته في المعرفة وفكّ رموز الكون من حوله. وأيضا هو مفهوم مفرد واحد في جنسه، يستغرق المعتقدات والأفكار التي يتمثّلها الإنسان ويعتنقها، ويعمل على تطبيقها وممارستها ضمن واقع معيّن ويدافع عنها، بل يعتبرها معطى وجوديا لا يمكن التفريط فيه، فيمتلك بذلك صفة الكائن المتديّن.

• مفهوم الدّيانة مختلف عن مفهوم الدّين، فالدّين واحد والدّيانة متعدّدة، على اعتبار أنّها تكتسي صفة التعدّد من جهة الممارسة والتّطبيق، وتخضع هذه الصّفة إلى معايير اختلاف الزّمان والمكان والإنسان، فكلّ ممارسة هو تديّن مصطبغ بصبغة الخصوصية، وهو بالضرورة سيكون مختلفا تبعا لاختلاف تلك المعايير، فتتنوّع المعتقدات والطقوس والتّشريعات، وأساليب العبادة والتقرّب إلى المعبود.

• مفهوم ثقافة التعايش، يقتضي التربية على التّعايش عبر عدّة آليات تدعّم وتشجع العيش المشترك والتعاون بين الأفراد والمجتمعات، المختلفين في العرق والجنس، والديانة، والثقافة، واللغة، والخلفية الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية وغيرها، لأنّ هذا المفهوم يهدف إلى ترسيخ مبدأ التعدّد الثقافي، والعمل على احترامه، حيث يسود

الاحترام والتسامح والتعاون بين الأفراد والجماعات، وتعتبر ثقافة التعايش أساسًا جوهريا في بناء المجتمعات.

• التعايش بين الدّيانات يتأسّس على جملة من المرجعيات المتعدّدة والمختلفة منها ما علمي ، ومنها ما هو تاريخي ومنها ما هو نفسي واجتماعي، ولكلّ مرجعية أثرها الخاص في بناء ثقافة التعايش الجماعي.

• قبول الآخر وفق ثقافة التّعايش تقتضي أن يكون الآخر مختلفا بالضّرورة وأن يوجد مجال زماني ومكاني وأحد يشترك فيه الأنا والآخر المختلفان في كثير من الخصوصيات، سواء منها العقدية أو الثقافية أو النّفسية والاجتماعية... ولكن يجمع البعد الإنساني المشترك.

ومهما حاول هذا المقال أن يلمّ بمسألة التعايش بين الثقافات فإنّها تبقى مسألة ممتدّة في توقيعاتها النّفسية والاجتماعية وكذلك السياسية والاقتصادية ضمن نسق من التغير الذي يتماشى مع تطوّر الإنسان وتشبيكه للعلاقات خارج حدود المكان والزّمان، ولذلك فإنّ ما طرحناه في هذا السّياق في حاجة إلى مزيد التّعمّق والدّرس وفق مقاربات مختلفات ستثمر نتائج مختلفة.

فهرس المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

• الأسدي فضيلة عبد العبّاس، معاني القبول والرّفض في القرآن الكريم، دراسة في الألفاظ والأساليب، رسالة دكتوراه، جامعة الكوفة، العراق 2009.

• أكوافيفا سابينو و باتشي إنزو، علم الاجتماع الدّيني، ترجمة عزالدّين عناية، أبوظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتّراث، كلمة، ط 1 ، 2011

• الجرجاني، الشريف، التعريفات، دار الكتب العلميّة، ط1، لبنان1983

• الجوهري، أبو نصر إسماعيل، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، دار العلم للملايين، ط4، بيروت1987.
• دراز ، محمد عبد اللّه، الدّين بحوث ممهّدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، الكويت (د. ت)
• صخير محمّد بتاريخ: 25/ 03/ 2023 قائمة بمائة كتاب في الفلسفة السّياسية
• أبو عبد اللّه الطنجي، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1996، 137/1 .
• الفارابي إسحاق ، معجم ديـوان الأدب، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، 2003.
• فريزر ، جيمس، الغصن الذهبي ، ترجمة أحمد أبو زيد وآخرون ، الهيئة المصرية العامّة للتأليف والنّشر، مصر 1971
• محمّد عبد اللّطيف عبد الشّافي، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام ، القاهرة، ط1 ، 2007.
• ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب، دار الجيل بالاشتراك مع دار لسان العرب، ط 9 ، بيروت 1988.
• ابن نبي مالك، فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر بادونغ، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط3، 2001.
• حجّ الفقراء، ترجمة: زيدان خوليف، دار الفكر آفاق معرفة متجددة، ط1، 2009.
• Kymlicka, W. (2010). The Current State of Multiculturalism in Canada and Research Themes on Canadian Multiculturalism. Canadian Journal of Political Science, 43(4).
• Parekh, B. (2000). Rethinking Multiculturalism: Cultural Diversity and Political Theory. New York: Palgrave Macmillan
• Paul N., Lakey , Acculturation: a Review of the Literae

ture, Intercultural Communication Studies XII-2 2003

• PERELMAN, C. (1979). LA PHILOSOPHIE DU PLURALISME ET LA NOUVELLE RHÉTORIQUE. Revue Internationale de Philosophie, 33(127/128),

• Prince, A. J. (1962). A Study of 194 Cross-Religion Marriages. The Family Life Coordinator, 11(1), 3–7. https://doi.org/10.2307/581450

• Taylor, C. (1989). Sources of the Self : The Making of Modern Identity. Cambridge, MA : Harvard University Press.

• Vertovec, S. (2010). Towards post-multiculturalism? Changing communities, conditions, and contexts of diversity. International Social Science Journal, 61(199).

• http://www.jstor.org/stable/23944012

• https//:www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid340262=

• https://www.politics-dz.com/ar

• https://www.unesco.org/ar/days/tolerance